الفصل الواحد والثلاثون

أحمد في المستشفى

حين عادت مها عصر ذلك اليوم الى البيت لم تكن تدري ما يخبئه لها ذلك النهار من مفاجأة..

أحمد في مستشفى السجن ويمكنها زيارته!..

كان المتكلم عبد الوهاب وقد جاء وزوجته لزيارتهـا.. وأخـذت شـفتاها ترتجفان، وأحست بقلبها يخفق بشدة..

-ولكن لماذا في المستشفى؟ ماذا جرى له؟

-كسر بسيط في ذراعه..

وأخذت مها تنشج باكية!

-قلت لك كسرا بسيطا، ولقد تماثل للشفاء.. تهيئـي سـيارتي حاضـرة.. وراحت تعض على شفتيها لتقاوم المشاعرالعنيفة المتضاربة في صـدرها.. اذ كان التوتر الذي تعيشه يوما بعد يوم يجعلها ضعيفة المقاومة أمام نوبات البكاء التي تهاجمها.. وأردف عبد الوهاب:

-أنت امرأة عاقلة يا مها.. لقد قاسيت بما فيـه الكفايـة.. أنظـري الـى الحرمان الذي تعيشين فيه!

-أنا بخير.. لاينقصني الاّ عودة أحمد سالما.. إذهبي يا عائـدة واخبـري أمك أن أحمد في مستشفى السجن، وأننا سنذهب لزيارته..

وذهبت عائدة وتبعها عزيز مستبشران، وانحنى عبد الوهاب واتخذ لهجـة النصوح:

-المرأة لها تأثير خاص على الرجل.. أقنعيه أن يكفّ عـن حماقتـه! ولا يهاجم الحكم..

تطلعت مها اليه بغضب، وأشاحت بوجهها عنه..

-ليس من شخص يؤثر في أحمد!..

-طوال عمره يابس الرأس..

-أحمد على حق..

-أيمكن لعاقل أن يتصرف تصرفه؟ لماذا يريد أن يحمل السلم بـالعرض؟ ماجدوى أن يكون على حق، في صراع قوى لا قبل له بمقاومتها؟ قلت لضابط مصري كبير "ماذا فعل أحمد حتى تعاملوه هذه المعاملة السيئة؟ أريد أن أعرف حتى يرتاح ضميري.. أجاب:

-هو مثالي شوي.. صاحب عقيدة!..

-الوحدة كانت عقيدة كل سوري!

-وحدة ايه، وعقيدة ايه! أنا بيدي دفعت فلوس من شان الوحـدة خمـسة ملايين جنيه.. دي مصلحة إحنا مسؤولين عنها.. نسيب الحكاية تتلخبط وتخرب يعني؟!

-هكذا اذن! مشروع إستثمار!

-فكرك ايه غير كدة!"

-وأنا قلت له اذا الحكاية فيها فلوس فهذا بحث آخر.. وأردف مخاطبا مها:

-بطيخ يكسر بعضه.. إنصحيه يكفّ عن المقاومة والتحريض.. الجماعـة أرادوا تكريمه بدون فائدة.. إنصحيه..

-أحمد ليس بحاجة لنصيحة أحد..

-أنت وأحمد، جرة لقيت غطاها!

-ماذا تريد مني؟ أقول له "ارتش بسفارة.. إقبل بمن جعلوا الوحـدة التـي كانت غايتها مقاومة إسرائيل, الى مشروع استثمار، غض الطرف وانج بجلدك، ففي هذا السلامة والأمان!" لوفعلت فانه يكرهني ويحتقرني لأنني أكون بالنسبة اليه إنتهازية كالآخرين!..

-إحملوا السلّم بالعرض.. جماعة دفعوا ثلاثمائة مليون جنيه لتتم الوحدة.. يتركون عناد رجل يقف في طريقهم؟..

-أنا لا أريد أن أكون أداة لأحرق الإنسجام بين أحمد وبين نفسه.. جميـع نساء المسجونين سيخرجن في مظاهرة للإفـراج عـن رجـالهن أو تقـديمهم للمحاكمة!

-سيتعفنون في السجن ولا يحاكمون! أحمد رجل عنيد وأخشى ما أخـشاه أن يدفع ثمن رأسه العنيد!

-أحمد رجل عنيد، أنت أخوه تقول هذا! وهل ستقف صامتا لو دفع ثمـن رأسه العنيد؟

ودخلت حياة وقد جهزت نفسها فسمعت وهي تدخل "رأسه العنيد" :

-من رأسه عنيد؟ أحمد؟ فهزت مها رأسها.. وأردفت حياة مخاطبة عبـد الوهاب:

-الرجل الصلب النزيه المناضل يصبح في رأيك عنيدا! ومتى؟ حين تلوى أعناق الرجال بالتعذيب الوحشي! وما رأيك في عادل؟ أهو أيضا رجـل عنيـد يستحق السجن؟

-ياحياة لاتنفعلي! وماهذه الحقيبة في يدك؟

-أخذت فيها بعض حواضرالبيت لأحمد..

-لا ضرورة لها، معي في السيارة كل ما هو بحاجة اليه.. انهم يعرضون على أحمد أن يخرج من البلد كسفير في بلد إشتراكي.. ولكنه يرفض وهذا مـا دعاني للقول بأن رأسه عنيد.. وأم عزيز لاتريد أن تنصحه بالكفّ عن اتهـام الحكم، وقبول ما عرض عليه..

-أنا لاأريد إلاّ ان أراه وأطمئن عليه، وأحمل له الصغير كي يراه.. انني فخورة به.. ليبق حيث هو.. هذا قراره! وليعلم أنني لست بحاجة اليه، وأعرف أن أدبر أموري!

بكى الصغير فحملته مها لترضعه وتغير له ثيابه وكانت العمة راضية تهرول على الدرج حين صعدت مها اليه وهي جاهزة للذهاب معهم.. وما لبث أن استعد الجميع منطلقين نحو المستشفى وقد حشر في المقعد الخلفي مها تحمل صغيرها، وحياة تضع عزيز في حجرها وعائدة تحشر بينها وبين العمة راضية..

* * *